الدرس الثالث: مراحل اعداد البحث العلمي "مرحلة اختيار موضوع البحث"

تمر عملية اعداد البحث العلمي عموما والقانوني خصوصا بعدّة مراحل متسلسلة ومتتابعة، متكاملة ومتناسقة في تكوين وبناء البحث وانجازه، وهذه المراحل هي:

أولا: مرحلة اختيار موضوع البحث

إنّ مسألة اختيار موضوع البحث هي المحدد الرئيسي لمدى إمكانية السير في البحث وانجازه من عدمه، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمشكلة محل البحث، بالإضافة الى مجموعة من العوامل المؤثرة، نتناولها كما يلي:

1- العوامل المؤثرة في اختيار موضوع البحث

عوامل اختيار موضوع البحث منها؛ ما يتعلق بشخص الباحث، ومنها ما يتعلق بموضوع البحث ذاته:

1-1: العوامل الذاتية المؤثرة في اختيار موضوع البحث

يقصد بالعوامل الذاتية، تلك العوامل المتعلقة بشخص الباحث، يمكن اجمالها في:

1-1-أ: الرغبة النفسية -الميول الذاتي-

وهي الدافع أو المحفز النفسي الذاتي الذي يخلق نوعا من الانشداد النفسي والوجداني بين الباحث وموضوع بحثه، يولَد مثل هذا العامل إرادة قوية مليئة بالحيوية والنشاط تدفع بالباحث إلى تسخير وقته في العمل، وهو ما يجعله لا يستسلم لمختلف الصعوبات التي يمكن أن تصاحب عمله مستقبلا، كونه يتحدى الأمور بطريقة علمية لكي يصل لهدفه الأساسي المتمثل في إعداد بحث ناجح.

1-1-ب: المؤهلات الشخصية والمادية للباحث

يقصد بالمؤهلات الشخصية والمادية للباحث ما يتمتع به من قدرات عقلية، لغوية، جسمية، ومالية.

- **القدرات العقلية واللغوية:**

على اعتبار أن القدرات العقلية واللغوية متفاوتة من باحث إلى آخر، فعلى هذا الأخير أن يختار موضوع بحثه وفق ما يتماشى **وقدراته العقلية**، فعليه أن يكون صادقا مع نفسه في اختياره لموضوع البحث، لأن هناك بعض المواضيع التي تتطلب عند اختيارها صياغة نظريات تحكمها، الأمر الذي قد لا يتناسب مع قدرات الباحث العقلية مما قد يؤدي به إلى تغيير موضوع البحث وما يتطلّبه من إجراءات إدارية طويلة.

كما يشترط على الباحث عند اختياره للموضوع أن يراعي **قدراته اللغوية**، أي أن يُحسن اتقان اللغة الوطنية وبعض اللّغات الأجنبية، باعتبار أن هناك وثائق علمية مكتوبة باللّغات الأجنبية فالاطلاع عليها وفهم محتواها لتوظيفه في البحث لا يكون إلا بالتحكم فيها.

وفي ميدان العلوم القانونية، يتطلب لإنجاز دراسة مقارنة في مسألة معينة إتقان اللّغات الأجنبية على الأقل اللغة الفرنسية من أجل دراسة وتحليل النصوص التشريعية في البلدان المختارة للمقارنة، لأن الباحث الذي لا

يستطيع التحكم في اللغات الأجنبية في مثل هذه الدراسات سيجد حتما صعوبات كبيرة، الأمر الذي قد يجعله يصرف النظر عن الموضوع الذي اختاره.

- **القدرات المالية للباحث:**

يتطلب من الباحث أن يراعي عند اختياره للموضوع قدراته المالية، فهناك من المواضيع التي تستدعي التنقل من مكان لآخر للبحث عن الوثائق العلمية، شرائها أو تصويرها، أو إجراء التجارب في مخابر خاصة كما هو الحال في فروع العلوم الطبيعية وغيرها من العلوم. مما قد لا يتناسب وقدرات الباحث المالية، الأمر الذي يجعله فيما بعد يصرف النظر عن هذا الموضوع.

- **التمتع بأخلاقيات وفضائل الباحث العلمي:**

يتطلب من الباحث التحّلي بالصبر والتّحمل، وعدم الانفعال الّسلبي، والقدرة على التّضحية، وقوة الملاحظة والموضوعية وغيرها من الّصفات الحسنة التي تحقق عناصر الملائمة بين قدرات الباحث وطبيعة الموضوع المختار للبحث. كما يجب على الباحث أن يتّسم بالثبات في المواقف والتّجرد من العاطفة حتى لا يكون أسير عواطفه الّشخصية التي قد تتّحكم في بحثه وتوجهه، لكون البحث يقتضي النقد وإعلان الّنتائج وهذه أمور تفرضها الأمانة العلمية.

1-1-ج: احترام معيار التخصص

لكي يكون البحث العلمي ناجحا، على الباحث اختيار بحث يدخل في **تخصصه العلمي**، لأن المعلومات والمبادئ الأساسية التي اكتسبها خلال فترة دراسته وتكوين تخصصه تمنحه استعدادات ذاتية تساعده في إعداد بحثه في أحسن صورة للوصول لأفصل النتائج.

فمثلا الباحث المتخصص في القانون يجب أن يراعي في هذا التخصص أولا، ثم يراعي التخصص الفرعي كالقانون الخاص أو العام، وإذا كان متخصصا في القانون الخاص عليه مراعاة التخصص الفرعي أيضا مثل القانون المدني أو التجاري.

ويعتبر التخصص المهني أيضا من الشروط الواجب أخذها بعين الاعتبار عند اختيار موضوع البحث، فإذا كان الباحث عاملا أو موظفا مثلا فإنه يُستحسن به أن يختار الموضوع الذي يندرج ضمن تخصصه المهني، فيتحصل من الناحية الشخصية على رتب مهنية راقية، ومن الناحية الموضوعية تكون الوسائل المادية التي توفرها له وظيفة تحت خدمته، ممّا يسهل عليه عملية البحث من خلال الجمع بين الجانبين التطبيقي والنظري.

1-2: العوامل الموضوعية المؤثرة في اختيار موضوع البحث

إضافة إلى العوامل الشخصية أو الذاتية، هناك عوامل أخرى تتعلق بموضوع البحث وطبيعته، تتوقف عليها عملية اختيار موضوع البحث العلمي، يمكن اجمالها في:

1-2-أ: القيمة العلمية لموضوع البحث

يهدف البحث العلمي عموما إلى اكتشاف حقيقة جزئية أو تفسير فكرة معينة كانت غامضة فيما سبق كي تصبح أكثر وضوحا وفهما، أو كلاهما معا. وإذا استطاع الباحث الوصول إلى هذا الهدف كان بحثه ذا قيمة علمية، ومن بين الشروط التي ينبغي توفرها للوصول على هذه القيمة العلمية؛ شرط **الجدّة**، و**تحديد موضوع البحث**.

- **شرط الجدّة والابتكار في البحث العلمي:**

ويقصد بجدّة البحث، أن يكون موضوع البحث جديدا لم يسبق البحث فيه، أو أن يكون مطروحا من قبل ولكنه يحتاج إلى إثراء وتنقيح وإعادة تجميع للمعلومات. فالبحث العلمي لا يكون دوما جديدًا، إذ يستطيع الباحث أن يعيد النظر في أعمال سابقة، بشرط أن تظهر استقلاليته في البحث بشكل واضح، ويظهر ذلك من خلال الأسلوب، المنهجية، والنتائج المتحصل عليها.

وقد سهّلت تكنولوجيا المعلومات والاتصال على الباحث مهمة تحديد ما إذا كان موضوع البحث جديدا. ففي الجزائر استحدثت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي موقعا إلكترونيا، يمكن للباحث الولوج إليه والتحقق مما إذا كان موضوع البحث جديدا، أو حتّى التعرف على الدراسات السابقة للبحث، وبالتالي الاستعانة بها عند اختيار موضوع البحث. ويتمثل هذا الموقع في موقع البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات:

www.pnst.cerist.dz/pnstARABE/index.php

ويمكن للباحث من خلال هذا الموقع الاطلاع على كامل الرسالة أو المذكرة أو ملخصها. كما يمكن للباحث تحميل هذه الرسائل والمذكرات من خلال كتابة عبارة:

DSpace université على محرك البحث **Google**، حيث يتحصل الباحث مباشرة على كل منصات المذكرات والرسائل الجامعية.

بالإضافة إلى شرط الجدة، فعلى الباحث أن يراعي أيضا دقة الموضوع عند اختياره لأنه قد يكون اتساع الموضوع سبب في الانتقاص من قيمته العلمية، ولهذا من الأفضل تحديد الموضوع في نقطة معينة حتّى يكون للباحث إمكانية الابتكار، أو على الأقل التحكم في الموضوع بمنهجية كافية وأسلوب علمي جيد، كما يستطيع تحديد نتائج بحثه بسهوله.

- **شرط تحديد موضوع(عنوان) البحث العلمي:**

إن الاختيار الأمثل لموضوع البحث العلمي يكتمل بضبط عنوانه ضبطا دقيقا، ولا يتم ذلك إلا بمراعاة الشروط التالية:

-**الدقة والوضوح:** يعني أن يكون عنوان البحث العلمي معبرا عن مضامينه بكل وضوح لا يحتمل أي تأويل.

-**التحديد والتركيز والاختصار**: الدقة والوضوح تتطلب أن يصاغ العنوان صياغة مختصرة ومركزة تعبر عن الموضوع المستهدف بالبحث بكل تركيز تتضح منه حدوده بكل دقة ووضوح، لذلك يجب تجنب العناوين المطاطة والطويلة أو المقتضبة وان لا يكون العنوان في شكل سؤال أو في شكل علامة تعجب.

-**الارتباط بموضوع البحث**: يجب أن يستوعب عنوان البحث العلمي جميع عناصر الموضوع محل الدراسة ويدل عليه، أي أن يكون هناك انسجام بين موضوع البحث وعنوانه.

- **الجدة والابتكار**: من المستحسن أن يكون موضوع البحث جديدا ومبتكرا مع أن هذا الأمر نسبي ففي بحوث اللسانس والماستر يستحسن ذلك، أما بالنسبة لبحث الدكتوراه والماجستير فلا يسمح للباحث أن يسجل موضوع بحثه إذا كان عنوانه مطابقا لعناوين بحوث أخرى، لذلك فالجّدة والابتكار مطلوبة في هذا النوع من البحوث لقيمتها العلمية الكبيرة.

-**التحفيز**: معناه أن يكون عنوان البحث مشوقا ومحفزا على الاستطلاع يوحي بأنه يستحق البحث والدراسة.

1-2-ب: مصادر البحث ومراجعه

تعتبر مراجع البحث ومصادره عامل أساسي في اختيار موضوع البحث، لاسيما إذا تعلق الأمر بالبحوث التي تُنجز من أجل الحصول على درجة الدكتوراه أو الماجستير، فالقيمة العلمية لمثل هذه البحوث والنتائج المتحصّل عليها، تتأثر إيجابا وسلبا بالمصادر والمراجع المعتمد عليها من طرف الباحث، فالباحث الذي لا يجد مصادر ومراجع لبحثه لا يستطيع أن يستوعب جميع الحقائق المتعلقة بموضوع بحثه، ولا يتشكل لديه ما يسمى "بنظام التحليل" وهو مجموع القدرات العقلية التي تسهل على الباحث التحليل والاستنتاج الذي يتشكل عن طريق تراكم المعارف بشأن موضوع ما، وهذا التراكم لا يستطيع أن يُكَونه الباحث بدون مصادر ومراجع.

1-2-ج: المدة الزمنية المحددة لإنجاز البحوث العلمية

يجب على الباحث عند اختياره لموضوع البحث أن يأخذ في الحسبان المدة الزمنية المحددة له لإنجازه. وعليه يجب على الباحث وكذا مؤسسات التعليم العالي، اختيار المواضيع التي تتناسب والمدة المحدّدة لإنجازه، لأنّه إذا استغرق الباحث مدة أطول من المدة المحددة له قانونا، قد يترتب على ذلك شطب اسمه من قائمة التأهيل للماجستير أو الدكتوراه.

1-2-د: أن يكون موضوع البحث ذا آفاق مستقبلية

من المفروض على الباحث أن يحرص على اختيار المواضيع المستمرة، أو بالأحرى المواضيع النافعة التي يستمر البحث والعطاء فيها حتّى بعد الحصول على الدرجة العلمية المتوخّاة، بدلا من تلك المواضيع التي تختفي في أدراج المكتبة، وتنتهي بمجرد نيل تلك الدرجة العلمية. وحسن اختيار مثل هكذا مواضيع يتطلب أن يكون الباحث ذا إطلاع واسع بمختلف الوثائق العلمية والدراسات المتصلة بالموضوع ومختلف المشاكل التي يطرحها هذا الموضوع علميا وعمليا، بالإضافة إلى إرشاد وتوجيه الأستاذ المشرف.

2- طرق اختيار موضوع البحث

اختيار موضوع البحث يرتبط بشكل مباشرة بالدرجة العلمية التي يسعى الباحث للحصول عليها من خلال إعداده للبحث العلمي، فمواضيع رسائل الدكتوراه تختلف عن مواضيع مذكرات الماجستير شكلا وموضوعا، وعن مذكرات الماستر. ومذكرات الليسانس تختلف عن البحوث الصفية وعن البحوث التي تقدم من أجل الترقية في الوظيفة وهكذا.

وهناك طريقتان لاختيار موضوع البحث وهما: الاختيار الذاتي للموضوع أو تولي الأستاذ المشرف ذلك:

2-1 اختيار الموضوع من قبل الباحث (الاختيار الذاتي للموضوع)

الأصل أن اختيار موضوع البحث من اختصاص الباحث، وهو الأسلوب الأمثل باعتبار أن الباحث هو المتخصص في موضوعه والمعايش لفكرته وصاحب الرغبة والميول للخوض فيه. اذ يتولى الباحث من تلقاء نفسه اختيار موضوع البحث الذي يتماشى مع قدراته الفكرية والعلمية، حيث يقترح لنفسه مجموعة من الموضوعات في تخصصه، ومن خلال المطالعة المكثفة لمحتويات هذه المواضيع يتوصل في النهاية إلى اختيار موضوع واحد من هذه المواضيع، وبعد ذلك يعرضه على الأستاذ المشرف لتقديم موافقته ليتم بعدها تسجيله نهائيا في إدارة الجامعة.

2-2 اختيار الموضوع من قبل الأستاذ المشرف

ليس هناك ما يمنع من حيث المبدأ من استعانة الباحث بالأستاذ المشرف لاختيار موضوع البحث، كون الأستاذ أكثر خبرة ودراية منه، فيقترح عليه بعض المواضيع التي يمكن أن تكون محلا للبحث. ورغم أن هذه الطريقة لا تمس سلامة اختيار الباحث، إلا أن بعض العلماء يحذرون من لجوء الباحث اليها، على اعتبار أن ذلك يشكل خطرا على الباحث نفسه، الذي قد يتعثر في مشواره البحثي، لكون الموضوع المقترح عليه معقدا أو صعبا بالنظر لقدراته وامكانياته العلمية، أو لا يتفق مع استعداده وميوله.

وربما أفضل طريقة لاختيار موضوع البحث هي التي تكون بالاتفاق بين المشرف والباحث وذلك بأن تتم مناقشته بينهما، فيوافق المشرف على الموضوع الذي اختاره الباحث او يدخل بعض التعديلات عليه، أو يقوم المشرف بعرض موضوع معين على الباحث ويطلب منه دراسته فيوافق الطالب بعد ذلك على هذا الاختيار بمطلق حريته.

كما أن للمجالس العلمية للكليات والمعاهد والمدارس العليا بالجامعة الجزائرية دورها الهام في اختيار مواضيع البحث، خاصة تلك المتعلقة برسائل الماجستير في إطار مدارس الدكتوراه او برسائل الدكتوراه في نظام –ل م د–. اذ عادة ما تختار المواضيع سلفا من قبل لجنة التكوين في الدكتوراه وما على الطالب الا اختيار احداها.

3-صياغة إشكالية موضوع البحث

تعتبر الإشكالية التي يختارها الباحث للمعالجة عاملا مؤثرا على سيرورة البحث، وعليها يتوقف نجاح البحث في جزئه الأكبر، ذلك أنها تضع الباحث منذ البداية أمام رهانات الموضوع. ومنه فان اختيار إشكالية البحث ليس بالأمر السهل كما يبدو للوهلة الأولى، بل الأكيد أن تقييم نوعية البحث بعد الانتهاء منه والحكم على مدى ثرائه أسهل بكثير من مباشرة البحث والبدء فيه.

3-1 اختيار مشكلة البحث

ان البحث الذي يبدأ من فراغ لا ينتهي الا الى فراغ، لذلك فان اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة يعتبر أول وأخطر مرحلة من مراحل البحث العلمي، ذلك ان المشاكل كثيرا ما تتشابك وتتعقد وتختلط بالظواهر العامة، وبالتالي فان أسبابها الحقيقية لا يمكن التعرف عليها الا بنوع من التشخيص الدقيق.

ومشكلة البحث أو كما تسمى بالقضية البحثية، عبارة عن عرض هدف البحث في صيغة تقريرية تصريحية أو في شكل سؤال وهو الأفضل من الناحية العلمية، وقد تكون مشكلة البحث عملية مأخوذة من الواقع المعيشي: كدراسة مشكلة التسرب المدرسي خاصة في مرحلة التعليم الأساسي، مشكلة تدني المستوى العلمي للطلبة، مشكلة التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، أو بحثية: كدراسة مشكلة مقومات الاستثمار في المدن ووسائل جذب المستثمرين، أو دراسة مشكلة الرقمنة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة.

إذن فمشكلة البحث هي عبارة عن موضوع البحث ذاته، لأن اختيار موضوع البحث يبدأ أولا من الشعور بالمشكلة الناتجة عن ملاحظة الباحث المباشرة للظواهر التي تحدث في المحيط الخارجي، فمثلا الباحث في العلوم القانونية يهتم بالظواهر القانونية، مثل الدولة، المحكمة الدستورية، المحكمة العليا، مجلس الأمن، المحكمة الجنائية الدولية...الخ، وإن كل هذه الظواهر وغيرها تطرح بالنسبة للباحث إشكالات ناتجة عن الملاحظة، فملاحظته إلى المحكمة الدستورية تطرح لديه مسألة مدى فعالية هذه المحكمة في أداء دورها المتمثل في الرقابة على دستورية القوانين وهكذا.

ان التحديد الجيد لمشكلة البحث يستدعي من الباحث تقديم إجابات لمجموعة من الأسئلة أهمها:

-هل معرفتك الحالية حول مشكلة البحث متأتية من ملاحظاتك فقط أم هي معرفة موثقة؟

-هل تود فقط الكتابة حول الظاهرة وتحديد جوانبها الخاصة، ام تهدف الى اعداد علاقات بين هذه الجوانب؟

-ماهي جوانب الظاهرة التي درست سابقا من طرف باحثين آخرين؟

-هل توجد نظرية اقترحت تفسيرات لهذه الظاهرة التي تهمك؟

-في تقارير البحوث السابقة التي اطلعت عليها هل تبين لك وجود جوانب في الظاهرة لم تعط الأهمية الكافية؟

-هل يهدف بحثك الى تطبيق منهجية جدية أو أعمق من البحوث السابقة، أم يهدف الى دراسة جوانب جديدة في الظاهرة؟ هل تفضل القيام ببحث كمي أو بحث كيفي وما مدى قدرتك على انجاز ما تختاره منها؟

2-3 صياغة اشكالية البحث

بعد اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة يأتي دور صياغة الإشكالية، حيث لا يكفي مجرد احساس الباحث بالمشكلة أو حديثه عنها، بل لابد بعد ذلك من صياغتها في شكل إشكالية تتضمن عبارات لغوية بسيطة ودقيقة في آن واحد، وتعبر عن المشكلة تعبيرا واضحا يحيط بأبعادها، ويتسم في الوقت ذاته بالموضوعية والقابلية للقياس.

هذا، وتتصف الإشكالية السليمة والصحيحة في البحث العلمي بـ:

أ-صفة الوضوح والدقة: ان إشكالية البحث يجب ألا تكون مبهمة أو غير عملية، فلو طرح أحد مثلا إشكالية "ما هي آثار الإصلاحات على حياة المواطن الجزائري؟ فان هذا السؤال يبدو واسعا جدا وغامضا في الوقت ذاته، فعن أي إصلاحات نتكلم هل الإصلاحات الاقتصادية ام الاجتماعية ام السياسية ام الثقافية ...الخ، وعن أي جانب من حياة المواطن سوف نتكلم: هل الحياة المهنية او العائلية او عن كل جوانب الحياة؟ ... الى غير ذلك من التأويلات الممكنة لهذا السؤال. إذا فقدرة الباحث على المعالجة الجيدة للإشكالية تتوقف على وضوحها ودقتها.

ب-صفة الواقعية: وهي تتعلق بإمكانية انجاز البحث بالأخذ بعين الاعتبار قدرات الباحث والموارد المتاحة لدية لمعالجة الموضوع، والوقت المتوفر له أيضا. فعلى الباحث قبل صياغة الإشكالية أن يتأكد من توفر هذه الجوانب حتى لا يقع في معالجة سؤال صعب يتطلب زمنا طويلا وموارد تتجاوز امكانياته المادية مما يضطره الى التوقف عن البحث وبالتالي ضياع الوقت والجهد.

ب-صفة النجاعة: تشير هذه الصفة في جانب من جوانبها الى نوايا الباحث في فهم ما هو موجود بغية توضيحه واستخلاص بعض القواعد التي تتحكم في الظاهرة، وبالتالي فانه لا يصح للباحث أن ينطلق في وضع اشكاليته بناء على احكام مسبقة بغية تأكيدها. من جهة أخرى ينبغي على الباحث أن يدرك وهو بصدد صياغته للإشكالية أن المشاكل كثيرا ما تتشابك وتتعقد وتختلط بالظواهر العامة، وبالتالي فان أسبابها الحقيقية لا يمكن التعرف عليها الا بعد نوع من التشخيص الدقيق، تماما مثل ارتفاع درجة حرارة المريض، فهي لا تمثل المشكلة في حد ذاتها بل مجرد ظاهرة تعبر عن وجود مشكلة (المرض الذي سبب ارتفاع درجة حرارة الجسم) يجب بحث أسبابها ووصف العلاج الناجح لها، ومتابعة العلاج الى غاية الشفاء التام. والبحوث العلمية تسير على هذا المنوال، اذ غالبا ما يتم الإحساس بالمشكلة من

طرف الباحث بملاحظة نشوء ظاهرة مصاحبة لها أو دالة على وجودها، وهي في الحقيقة لا تعبر عن أصل المشكلة ولا تشكل دراستها حلا للمشكلة.